

11

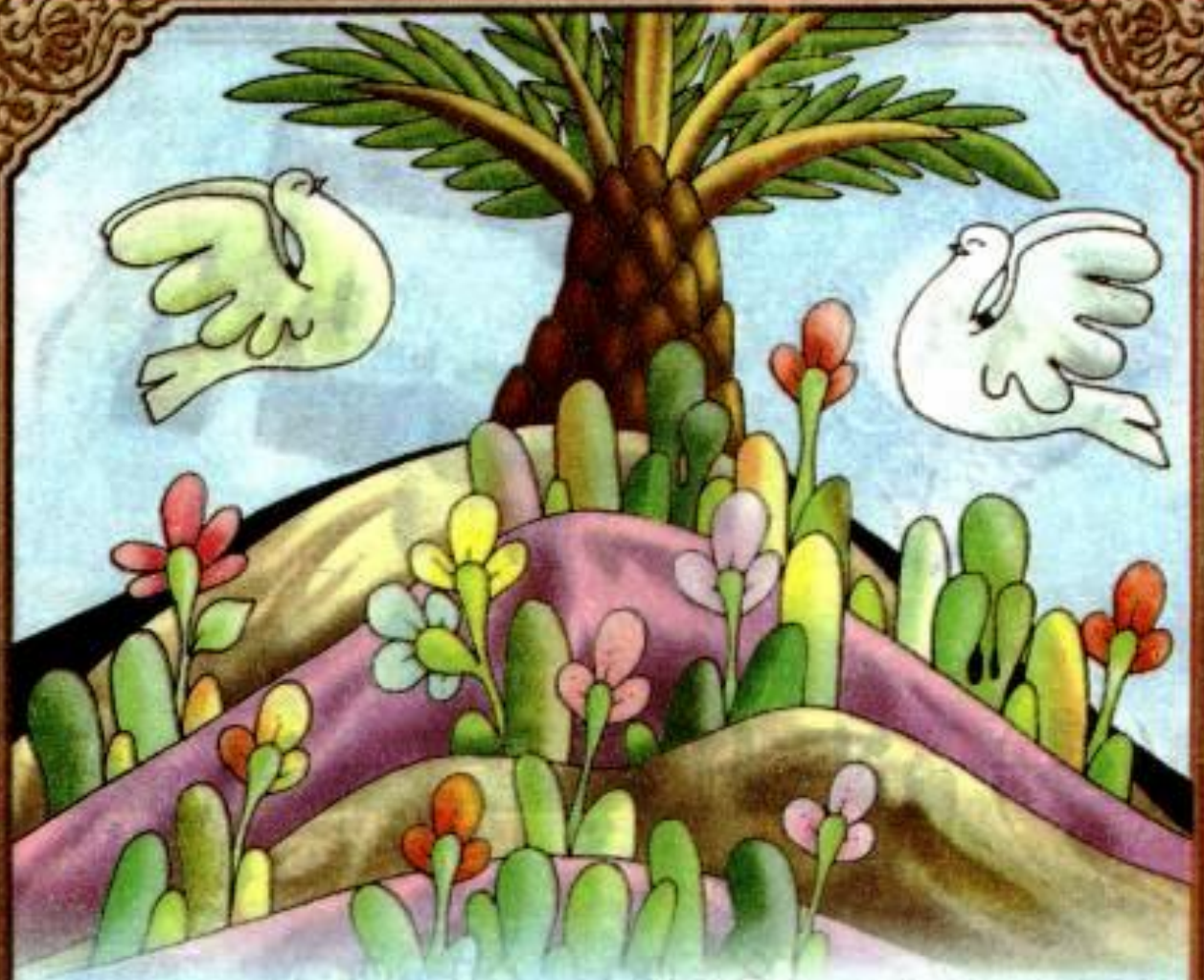
الانجيل

الجزء الرابع

البلاء العظيم

البلاء العظيم

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المنصور
رسوم : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى



تَرَكَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَزَوْجَتَهُ
هَاجَرَ فِي صَحْرَاءِ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ ، وَعَادَ إِلَى الشَّامِ
لِيُوَاصِلَ دَعْوَتَهُ إِلَى اللَّهِ ، فَلَمَّا تَفَجَّرَ الْمَاءُ مِنْ بُئْرِ زَمْزَمَ
تَحْتَ قَدَمَي الصَّغِيرِ إِسْمَاعِيلَ ، عَمَرَ الْمَكَانَ بِالْبَشَرِ ،
وَجَاءَتْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِتَسْكُنَ فِيهِ ..
وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ وَتَتَابُعِ السَّنَوَاتِ كَبِرَ إِسْمَاعِيلُ ، حَتَّى
صَارَ غُلَامًا ذَكِيًّا ، تَعَلَّقَ بِهِ قَلْبُ أُمِّهِ هَاجَرَ ..

وَأَحَبَّهُ أَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام خَاصَّةً وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَهُ

بِهِ عَلَى كِبَرٍ ..

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام يَزُورُ وَلَدَهُ إِسْمَاعِيلَ وَزَوْجَتَهُ هَاجِرَ
كُلَّمَا سَنَحَتْ لَهُ فُرْصَةً لِذَلِكَ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ وَقَعَ الْإِبْتِلَاءُ الْعَظِيمُ .. تَعَرَّضَ إِبْرَاهِيمُ
عليه السلام وَوَلَدُهُ إِسْمَاعِيلُ لِمَتِحَانٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ..

كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام نَائِمًا ، فَرَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ
إِسْمَاعِيلَ .. رَأَى إِبْرَاهِيمُ ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ صِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهَا ..

نَهَضَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام مِنَ النَّوْمِ مَهْمُومًا ، وَهُوَ يَفْكُرُ فِي
الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا .. لَقَدْ رَأَى أَنَّهُ يَذْبَحُ وَلَدَهُ .. إِذَنْ فَلَا
بُدَّ أَنْ يُحَقِّقَ الرُّؤْيَا فِي الْوَاقِعِ وَيَذْبَحَ وَلَدَهُ ..

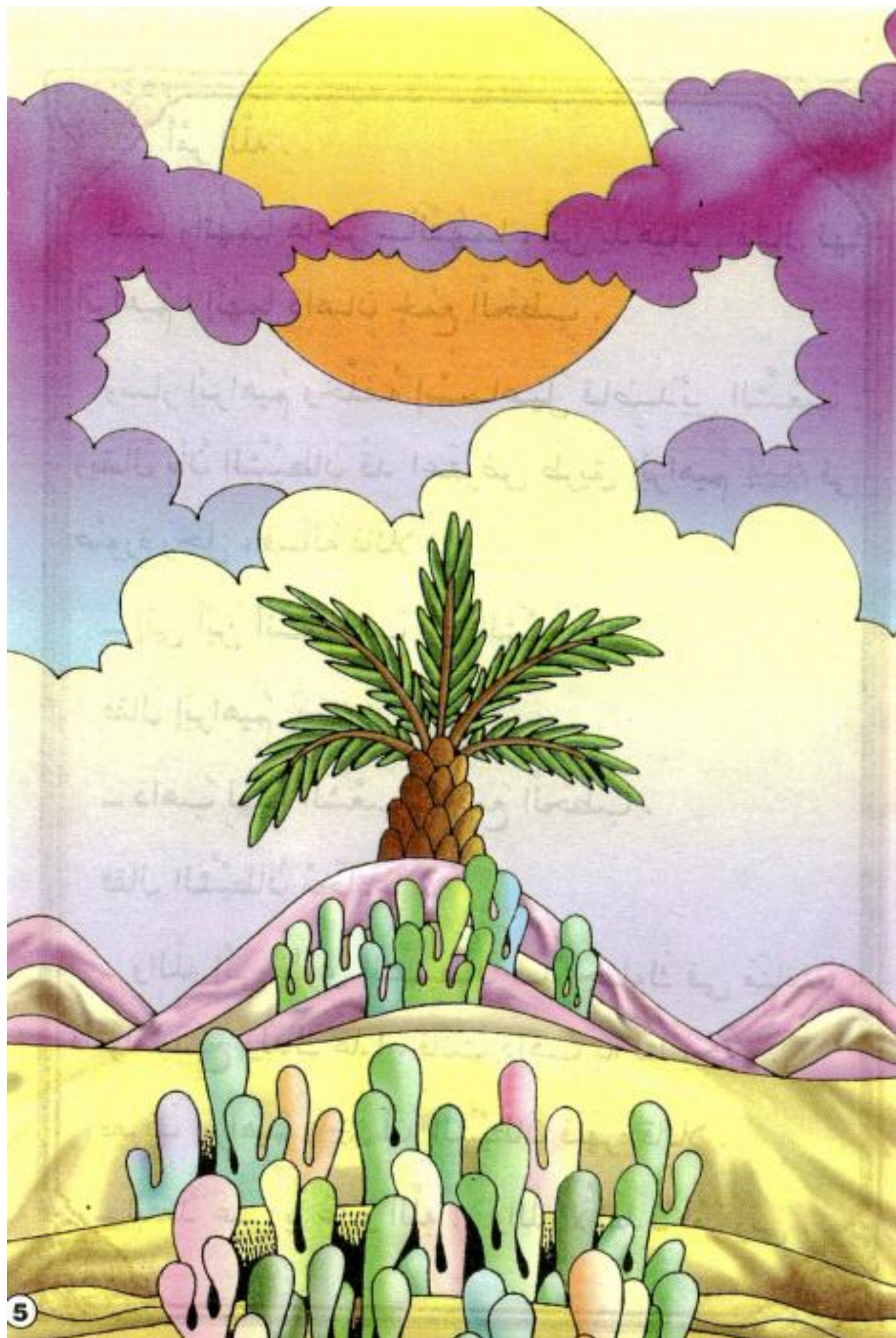
وَفَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام كَيْفَ يُبْلَغُ الْخَبَرَ لَوْلَدِهِ ؟! مَاذَا
يَقُولُ لَهُ ؟! هَلْ يَسْتَجِيبُ إِسْمَاعِيلُ ، وَيَتَقَبَّلُ الْخَبَرَ
بِبَسَاطَةٍ ، أَمْ أَنَّهُ سَيَرْفُضُ الْإِسْتِجَابَةَ لِوَالِدِهِ لِتَنْفِيزِ
أَمْرِ اللَّهِ ؟!

ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى وَلَدِهِ وَقَالَ لَهُ :

- يَا بُنَيَّ إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ، فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟!
وَكَانَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْرِفُ أَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ حَقٌّ ،
وَأَنَّ الَّذِي رَأَاهُ أَبُوهُ فِي الْمَنَامِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ
وَاجِبُ التَّنْفِيزِ .. وَلِذَلِكَ لَمْ يَفْزَعْ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ ،
وَلَمْ يَيْئَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، بَلْ أَجَابَ وَالِدَهُ بِكُلِّ آدَبٍ قَائِلًا :
- يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا أَمَرَكَ بِهِ اللَّهُ .. سَتَجِدُنِي - إِنْ
شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّابِرِينَ ، فَلَا تَخَفْ عَلَيَّ ، أَوْ تَجْزَعْ
مِنْ أَجْلِي ..

مُنْتَهَى الطَّاعَةِ وَالْإِمْتِثَالِ مِنَ الْإِبْنِ الصَّابِرِ لِأَمْرِ اللَّهِ ..
وَاسْتَعَدَّ كُلُّ مَنْ الْأَبِ وَالْإِبْنِ لِأَمْرِ اللَّهِ ، فَأَحْضَرَ
إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَبْلًا وَسَكِينًا ، وَأَخْفَى مَا يَنْوِي الْقِيَامَ بِهِ
مِنْ ذَبْحِ إِسْمَاعِيلَ عَنْ هَاجِرَ ، حَتَّى لَا تَجْذَعَ أَوْ تُثْنِيَهُ أَوْ
تُثْنِيَ وَلَدَهُ عَنْ تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَالَ لِابْنِهِ :

- هَيَّا بَنَا يَا بُنَيَّ نَخْرُجُ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ لِنَنْفِيزِ



أَمْرَ اللَّهِ ..

فَلَمَّا رَأَتْهُمَا هَاجَرُ سَأَلَتْهُمَا ، أَيْنَ يَذْهَبَانِ ، فَقَالَ لَهَا
إِبْرَاهِيمُ : إِنَّهُمَا ذَاهِبَانِ لَجْمَعَ الْحَطَبِ ..

وَسَارَ إِبْرَاهِيمُ وَخَلْفَهُ إِسْمَاعِيلُ قَاصِدَيْنِ الشَّعْبِ ،
وَيُقَالُ بَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اعْتَرَضَ طَرِيقَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي
صُورَةِ رَجُلٍ ، فَسَأَلَهُ قَائِلًا :

- إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟!

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- ذَاهِبٌ لِهَذَا الشَّعْبِ لِأَجْمَعَ الْحَطَبِ ..

فَقَالَ الشَّيْطَانُ مُخَادِعًا :

- وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ قَدْ جَاءَكَ فِي مَنَامِكَ ،
فَأَمْرَكَ بِذَبْحِ وَلَدِكَ هَذَا ، فَأَنْتَ ذَاهِبٌ بِهِ لِتَذْبَحَهُ ..

فَعَرَفَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ الشَّيْطَانُ فَنَهَرَهُ قَائِلًا :

- ابْتَعدْ عَنِّي يَا عَدُوَّ اللَّهِ .. وَاللَّهِ لَأُنْفِذَنَّ أَمْرَ رَبِّي ..

فلما يئس الشَّيْطَانُ مِنْ إِغْوَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اعْتَرَضَ طَرِيقَ إِسْمَاعِيلَ قَائِلًا :

- يَا غُلَامُ .. هَلْ تَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ أَبُوكَ ؟!

فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

- نَحْنُ ذَاهِبَانِ لِنَحْتَطِبَ ..

فَقَالَ الشَّيْطَانُ :

- وَاللَّهِ مَا يُرِيدُ أَبُوكَ إِلَّا أَنْ يَذْبَحَكَ ..

فَقَالَ إِسْمَاعِيلُ :

- فَلْيَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ .. سَمِعًا وَطَاعَةً لِأَمْرِ اللَّهِ ..

فَلَمَّا يئسَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِغْوَاءِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَجَّهَ
إِلَى هَاجَرَ ، فِي مَنْزِلِهَا وَقَالَ لَهَا :

- يَا أُمَّ إِسْمَاعِيلَ ، هَلْ تَدْرِينَ أَيْنَ ذَهَبَ إِبْرَاهِيمُ بِوَلَدِكَ إِسْمَاعِيلَ ؟!

فَقَالَتْ هَاجَرُ :

- ذَهَبَا لِيَحْتَطِبَا مِنْ هَذَا الشَّعْبِ ..

فَقَالَ الشَّيْطَانُ :

— ما ذهبَ به إِلَّا لِيَذُبَّحَهُ ..

فَقَالَتْ هَاجِرُ :

— هُوَ أَرْحَمُ بِهِ وَأَشَدُّ حُبًّا لَهُ مِنْ ذَلِكَ ..

فَقَالَ الشَّيْطَانُ :

— إِنَّ إِبْرَاهِيمَ يَزْعُمُ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ..

فَقَالَتْ هَاجِرُ :

— إِنَّ كَانَ رَبُّهُ أَمَرَهُ بِذَلِكَ ، فَأَنَا رَاضِيَةٌ وَأُسَلِّمُ بِأَمْرِ اللَّهِ ..

وهكذا رَجَعَ عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ بَغِيْظِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ

يَنَالَ مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ شَيْئًا ، وَقَدْ أَجْمَعُوا عَلَى السَّمْعِ

وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِ اللَّهِ ..

فَلَمَّا خَلَا إِبْرَاهِيمُ بِإِسْمَاعِيلَ فِي الشَّعْبِ ، نَظَرَ

إِسْمَاعِيلُ إِلَى أَبِيهِ قَائِلًا :

— يَا أَبَتِ إِنَّ أَرَدْتَ ذَبْحِي ، فَاشْدُدْ رِبَاطِي ، حَتَّى

لَا يُصِيبَكَ مِنْ شَيْءٍ ، فَيَنْقُصَ أَجْرِي ، فَإِنَّ الْمَوْتَ

شَدِيدٌ ، وَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ أَضْطَرِبَ عِنْدَهُ

إِذَا وَجَدْتُ مَسَّهُ .. وَاشْحَذُ شَفْرَتَكَ (أَيُّ حُدٍّ
سِكِّينِكَ) حَتَّى تُجَهِّزَ عَلَيَّ فَتُرِيحَنِي .. وَإِذَا أَنْتَ
أَضْجَعْتَنِي لِتَذْبَحَنِي ، فَكُبِّنِي لِوَجْهِهِ عَلَيَّ جَبِينِي ، وَلَا
تُضْجَعْنِي لِشِقْيِي ، فَإِنِّي أَخْشَى إِنَّ أَنْتَ نَظَرْتَ



فِي وَجْهِهِ أَنْ تُدْرِكَكَ رِقَّةٌ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ
تَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ فِي ..

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- نَعَمْ الْعَوْنُ أَنْتَ يَا بَنِي عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ..

ثُمَّ رَبَطَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ ، كَمَا أَمَرَهُ فَأَوْثَقَهُ ، ثُمَّ حَدَّ
سَكِينَهُ ، وَأَرْقَدَ إِسْمَاعِيلَ جَاعِلًا وَجْهَهُ نَاحِيَةَ الْأَرْضِ ..

وَهَوَى إِبْرَاهِيمُ بِالسَّكِينِ عَلَى عُنُقِ إِسْمَاعِيلَ لِيَذْبَحَهُ ،
وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ نَادَى اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ قَائِلًا :

﴿ ... يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا ، إِنَّا كَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ .

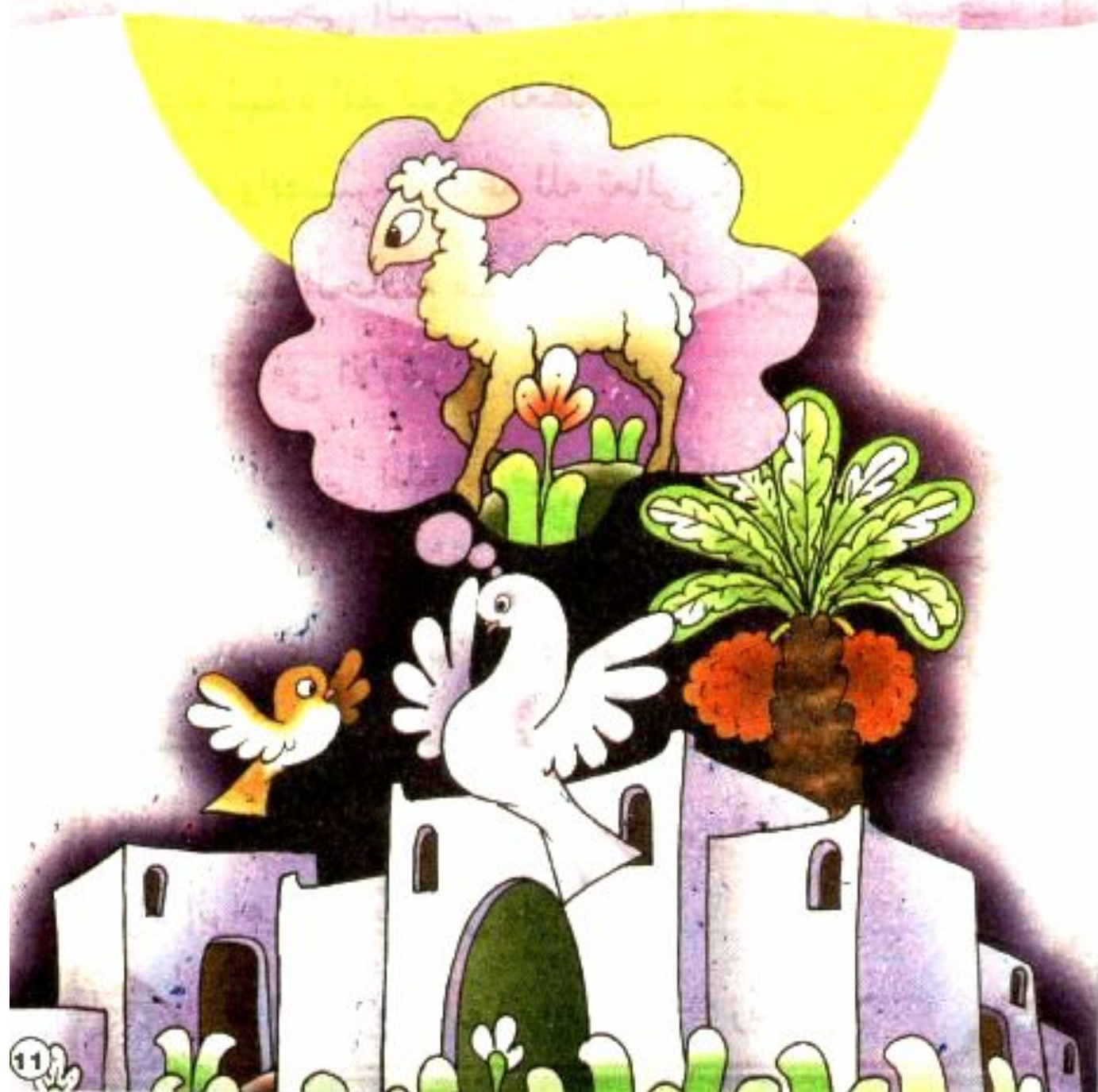
أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ هَذَا الَّذِي فَعَلَهُ هُوَ
وَوَلَدُهُ يَكْفِي لِتَصْدِيقِ الرَّؤْيَا ، الَّتِي رَأَاهَا إِبْرَاهِيمُ فِي
مَنَامِهِ .. وَأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنْ ذَبْحِ ابْنِهِ ..

وَرَأَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِجَوَارِهِ كَبْشًا أَبْيَضَ عَظِيمًا ،

ذا قرْنَيْنِ كَبِيرَيْنِ ، أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَذْبَحَهُ فِدَاءً
لِوَلَدِهِ .. افْتَدَى اللهُ إِسْمَاعِيلَ بِالْكَبْشِ ، فَذَبَحَهُ ..

وَأَنْتَهَى ابْتِلَاءُ اللهِ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ

- عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - وَنَجَحَ الْاِثْنَانِ ، وَفَازَا فَوْزًا عَظِيمًا ..



وهذا يدل على عقيدة قوية ، وإيمان صادق ، حتى

عند الشدائد ..

وقد صار هذا اليوم الذي افتدى فيه الله تعالى نبيه
إسماعيل عليه السلام يوم عيد للمسلمين .. هذا العيد ، هو
عيد الأضحى المبارك ، الذي تذبح فيه الأضحية ،
إحياء لهذه الذكرى العظيمة .. ذكرى التضحية
والفداء والصبر والطاعة لله تعالى ..

بعد هذه الحادثة مضى نبي الله إبراهيم عليه السلام لنشر
دعوة الله في الأرض ..

وبرغم أن نبي الله إبراهيم عليه السلام كان أظهر الناس قلباً ،
وأكثرهم إيماناً بالله وثقةً في قدرته ، وبقيناً بأن الله وحده ،
هو القادر على إماتة الأحياء ، وعلى إحياء الموتى ،
وبعثهم يوم القيامة ، برغم كل ذلك ، فإن إبراهيم عليه السلام
قد أراد أن يزداد ثقةً واطمئناناً إلى قدرة الله تعالى ..
أراد إبراهيم أن يطمئن قلبه ..

ف ذات يوم سأل إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً :

«رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى» ..

فَسَأَلَهُ الْمَوْلَى - سُبْحَانَهُ - قَائِلًا :

«أَوَلَمْ تُؤْمِنْ؟» .

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

«بَلَى ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» .

سَأَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي - سُبْحَانَهُ -

الْمَوْتَى ، بَعْدَ مَوْتِهِمْ ، وَذَلِكَ حَتَّى يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ ، بِرَغْمِ

إِيمَانِهِ الشَّدِيدِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ

يَأْخُذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ، وَيَذْبَحُهَا ، ثُمَّ يَقْطَعُهَا أَجْزَاءَ

صَغِيرَةٍ ، ثُمَّ يُوزَعُ هَذِهِ الْأَجْزَاءُ عَلَى عَدَدِ مِنَ الْجِبَالِ ..

يَضَعُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ هَذِهِ الْجِبَالِ جُزْءًا ..

ثُمَّ يَنَادِي الطُّيُورَ الَّتِي ذَبَحَهَا ، وَفَرَّقَ أَجْزَاءَهَا عَلَى

الْجِبَالِ ، تَأْتِيهِ الطُّيُورُ مَرَّةً أُخْرَى ..

وَقَدْ فَعَلَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا أَمَرَهُ بِهِ رَبُّهُ سُبْحَانَهُ ..

أَحْضَرَ أَرْبَعَةَ طُيُورٍ حَيَّةٍ ، ثُمَّ قَامَ بِذَبْحِهَا ، وَقَطَعَ كُلَّ

طائر إلى عددٍ من الأجزاء الصغيرة .. ثم خلط

أجزاء الطيور كلها مع بعضها ، بحيث لم يعد يستطيع
تمييز أجزاء أى طائر عن الأجزاء الأخرى ..

ثم أخذ أجزاء الطيور المختلطة ، وقام بتوزيعها على
قمم الجبال ..

ثم وقف بعيداً ، ونادى الطيور ، فأخذت الأجزاء
تتجمع إلى بعضها بأمر الله تعالى ..

ورأى إبراهيم عليه السلام الطيور الأربعة وهى تتجمع وتطير
إليه مرة أخرى .. فشكر إبراهيم ربه تعالى ، الذى
أجرى على يديه هذه المعجزة .. معجزة إحياء
الموتى ..

رأى إبراهيم عليه السلام القدرة الإلهية ، وهى تعمل فى
البعث وإحياء الموتى ..

وهذه القصة وردت فى القرآن الكريم ، لكننا

